المجلد الرابع — الجزء الثاني عشر

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣١٩ — ٣١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠١)

وظائف علماء الدين

اذا طالب عقلاء المسلمين وفضلاؤهم العلماء بالعمل وخدمة الامة التي اشرفت على الاضمحلال بتوانيهم واهمالهم وعكوفهم على ما يرون ان فيه منفعتهم الشخصية ينبري علماء السوء الذين سماهم الله تعالى ظالمي أنفسهم للطعن في المطالب قائلين انه اهان العلماء وحاول ازالة سلطانهم ونفوذهم من نفوس العامة كأنهم يرون ان غاية العلم وفائدته تعظيم العامة لهم واكرامهم بالمال وغيره ولكن الله ورسوله يشهدان على ان من يطلب العلم لهذه الغاية عدو لله مستحق لمقته وعقوبته

آيات القرآن التي تأمر بالاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى وحده في كل أمر ديني كثيرة . وكذلك الاحاديث الصحيحة ومنها مارواه احمد ومسلم والنسائي ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « ان اول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأُتي به فعرّفه نعمته

فعرفها[1] قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فماذا عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسّع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فأتى به فعرّفه نعمه فقال ماذا عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها قال كذبت ولكنك فعلته ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه ثم القى فى النار . » ورواه غير هؤلآء الثلاثة بالفاظ اخرى . وفى حديث للحاكم مختصر ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « ثلاثة مهلكون عند الحساب جواد وشجاع وعالم »

فعلمنا من هذا ان العالم الذى غرضه من العلم السمعة وان يحترمه العوام ويكرموه هو من اهل النار وان كان عاملاً بعلمه ومفيداً للناس لان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً لوجهه الكريم فما بالك اذا كان غير عامل ولا معلّم او كان يتخذ العلم احبولة لصيد المال بالباطل وحيلة لاضاعة الحقوق كبعض متفقهة الحنفية وقضاتهم الذين يتفقون مع المحامين الذين لا ذمة لهم ولا امانة على اضاعة الحقوق واقتسام الجعل على ذلك هل يعدّ هؤلاء الفجّار من علمآء الدين الذين يجب احترامهم واكرامهم ؟

---

(١) قوله فاتى به الخ تعبير بالماضى عن المستقبل باعتبار أنّ ما سيقع قطعاً في تحققه كأنه قد وقع فعلاً . وقوله فعرفه أي يعرفه الله تعالى نعمه وهكذا يقال فى الباقى

كلا بل اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لو كانوا من حزب الله وعلماء دينه لخافوه وخشوا منه فقد قال تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ولا شك ان من يعرف الله يخافه تعظيماً واجلالا ويخافه حذراً من عقوبته ولو كان هؤلاء يخافون الله تعالى لما تمادوا فى الظلم وهو كما ورد ظلمات يوم القيامة وهو من الذنوب التى لا يغفرها الله تعالى الا ان يغفر المظلوم واكثر المظلومين لا يغفرون لمن ظلمهم . وقد ورد فى الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لمعاذ حين ارسله الى اليمن « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » فثبت بهذا انهم لا يعرفون الله تعالى ومن لا يعرف الله تعالى فهو اجهل الجاهلين ، وان حفظ الشرنبلالية والتاترخانية والولوالجية وابن عابدين ،

علماء الدين هم الذين يقومون بحقوق الدين ويؤدون وظائف العلم به فيكونون كالمطر حياة للبلاد وللعباد . روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابى موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه قال « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير [1] وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا [2] وأصاب طائفة اخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ [3] فذلك مثل من فقه فى دين الله

(١) النقية الخصبة (٢) اجادب جمع جدب بالتحريك على غير قياس كذا قال شارح . وفي القاموس انه جمع أجدب الذى هو جمع جدب . قال ابن الاثير هى صلاب الارض تمسك الماء ولا تشربه سريعاً وهذا المثل لرواة العلم وحملته والاول للمستنبطين وهما القسمان المنتفعان (٣) هذا مثل من لم ينتفع ولم ينفع

ونفسه مابعثني الله به فعلم وعلّم ومثلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به » وهذا الحديث الصحيح بمعنى الآية الشريفة التي افتتحنا بها مقالة (علماء الدين) في الجزء الماضي . فالظالم لنفسه هناك هو المضروب له مثل الارض القيعان التي لا ينتفع بها . واما الذي يؤذي الناس بتعليمهم الحيل الفقهية التي يأكلون بها السحت ويهضمون الحقوق فهو شر الاشرار ولم يذكر هنا ولا هناك لانه ليس من علماء الدين بالمرة وقانا الله والناس من شره

ما هي وظائف علماء الدين ؟ يقولون هي حفظ علوم الدين مقاصدها ووسائلها وتعليمها للناس . وماالغرض من هذه العلوم الا حفظ الدين ولغته العربية وانتشارهما فهل هما في هذه العصور محفوظان ومنتشران بسعي العلماء فبرأهم من التقصير ؟ بيناً في الجزء الماضي ان اكثر المسلمين غير عاملين بالدين على وجهه واقمنا على ذلك البرهان الذي لا ينقض ونقول الآن في اللغة : ان الازهر وهو اكبر مدرسة دينية في العالم لا يوجد بين هؤلاء الالوف من المدرسين والمتعلمين فيه عشرة نفر يفهمون كلام العرب ويقدرون على الكلام العربي البليغ قولاً وكتابة واذا زعم المكابرون ان هذا القول غير صحيح فليعدوا لنا عشرة منهم يفهمون اللغة وينطقون بها ويكتبون وليبرزوهم للامتحان . يخرج في كل عام من المدارس الاميرية وغيرها مئات يحسنون التكلم بلغة اجنبية ولا يخرج من الازهر مجاور واحد يحسن اللغة العربية فهل صار تحصيل لغة القرآن وهي افصح اللغات واعذبها متعذرا ، وتحصيل تلك اللغات التي سماها العرب اعجمية تشبيهاً لاهلها بالعجماوات (كما قال بعض الاذكياء) سهلاً متيسراً ؟؟ كلا ان

العربية ضاعت بفساد التعليم بل بفقده فان الاشتغال ببعض الكتب الفنية لذاتها والمجاورة في اساليبها الضعيفة التركيبة لا يوصل الى اللغة . وانما يعين على تحصيلها فهم القواعد ، مع الامثال والشواهد ، اذا جئ اليها من طريقها ، ودخل عليها من بابها ، وهو مدارسة كلام اهلها وحفظ جملة صالحة منه مع الفهم كما بيناه في المنار مراراً

وجد في مصر عالم من علماء اللغة يعد في طبقة الأئمة الحفاظ الذين وضعوا لها المعاجم ودوّنوا الدواوين وهو الشيخ محمد محمود الشنقيطي فلم يعرف له فضله احد من علماء الازهر ويرشد الناس الى الانتفاع بعلمه الا مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده وكان ينبغي لشيخ الازهر ان ينتدبه لقراءة اشعار العرب واراجيزهم في الازهر وقراءة بعض الكتب النافعة ككتاب سيبويه وكتاب الكامل للمبرد ويأمر العلماء ونجباء المجاورين بالتلقي عنه اذا كانوا يودون احياء اللغة ولا يحيا الدين الا بحياة لغته ولذلك اوجب الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه على كل مسلم ان يتعلمها كما في كتاب الام واكثر علماء الازهر شافعية

هذا كلام اجمالي في وظائف علماء الاسلام التي يسلم جميعهم بانها مطلوبة منهم ولو بسطناها بالتفصيل لاحتجنا الى اعادة كثير مما كتبناه في مقالات سابقة . من ذلك ان الدعوة الى الدين من اهم وظائف العلماء به وقد كتبنا فيها مقالتين مسهبتين في الجزئين ٢٠ و٢١ من المجلد الثالث . ومنها المدافعة عن الدين ورد الشبهات التي ترد عليه من المشتغلين بالعلوم الكونية ومن اهل الاديان الاخرى وهذه الوظيفة تستلزم ان يعرف علماء الدين جميع العلوم الكونية لا سيما التي ساقت المسلمين طبيعة العمران الى

تعلمها كالرياضيات والطبيعيات والتاريخ بانواعه والفلسفة وانا نرى الذين يتلقون هذه العلوم يقعون فى شبهات تزلزل عقائدهم ومنهم من يمرق من الدين مروق السهم من الرمية وقد ابتلينا بمناظرة كثيرين منهم ووفقنا الله تعالى لاقناع بعضهم والزام بعض . ورأينا بعضهم يتألم ويتململ من الشبهات ويقولون انهم طلبوا كشفها ممن يعرفون من علماء الدين فمنهم من لم يفهم الشبهة لان فهمها يتوقف على معرفته بالعلم الذي تولدت منه ومنهم من كان يكذب بها وينكرها بالمرة بدعوى ان الذين قالوها او اكتشفوها كفار فكان مثلهم كمثل ذلك القاضي الشرعي الذي استحل شرب نوع من الخمرة بناء على ان الذي اشتراها له روى عمن اشترى منه وهذا روى عن صانعيها وكلهم كفار لا تقبل روايتهم !!! ومنهم من كان يكتفي من الجواب بقوله ان هذا كفر وان كلام الدين وعلماء الدين اصدق من كلام الفلاسفة والكافرين . ونحن نقول يستحيل الخلاف والتناقض بين الدين الاسلامي وما ثبت من العلوم الكونية وقد بينا هذا فى مقالة « الشريعة والطبيعة والحق والباطل » فلتراجع فى المجلد الثانى (صفحة ٦٤١)

يبحث كتابنا وكتاب اوربا فى مستقبل الاسلام وليس امام المسلمين الا احد امرين (١) الاخذ باسباب القوة والثروة من طريق العلوم الكونية بباعث الدين وعلى الوجه الذي يحفظ مجده ولا يمكن ان يكون هذا الا اذا كان زمام التعليم فى ايدى علماء الدين ولا يكون زمامه فى ايديهم حتى يكونوا عارفين بهذه العلوم حق المعرفة مع الحكمة والسياسة وحسن التوسل للتوصل . و (٢) الوقوع فى اسر اوربا واستعبادها

البلاد الاسلامية على قسمين — بلاد فاض عليها سيل اوربا وبلاد

لما يأتيها السيل الجارف وانما اصاب بعضها وشاش منه ينذرهم بالطوفان العظيم « والسيل حرب للمكان العالى » ولذلك جرف الحكام قبل المحكومين وهم له كارهون والناس تبع لرؤسائهم فى الدين والدنيا فاذا ذهب التيار برؤساء الدنيا فالمطلوب من رؤساء الدين السعي فى انقاذهم وانقاذ سائر الامة فان امراء المسلمين وحكامهم لم يبلغوا مبلغ حكام اوربا فى نبذ الدين وراء ظهورهم فهم فى الغالب يعتقدون بحقيته ولا يرون سبيلاً لاقامة احكامه لان العلماء لم يجلوها لهم على الوجه الذى ينطبق على مصالح البشر فى هذا العصر بل ظهر لهم عجز علماء المسلمين عن اقامة العدل وحفظ مصالح الناس فى الاحكام الشخصية التى عهدت اليهم فى المحاكم الشرعية .

فاذا استطاع العلماء فى هذه البلاد ان يحولوا سيل العلوم والمدنية الى المجاري الاسلامية يتسنى لهم بعد ذلك ان يفيضوا منه على البلاد الاخرى وهى تقبله سريعاً لانه جاء من قِبَل اخوانهم فى الدين فيعم الاصلاح بوقت قريب ألا ترى ان مسلمى الهند كانوا يخافون من هذه العلوم التي يستنشقون اليوم منها نسيم الحياة لانها جاءتهم على ايدى الانكليز .

ونقول فى الختام : من وظائف علماء الدين نشر لغة الدين بجعلها لغة التخاطب ولغة العلوم لتستغني الامة بها عن اللغات الاجنبية الا نفراً يترجمون وينقلون . ومن وظائفهم الاستعداد للمدافعة عن الدين ومقاومة البدع ورد الشبه التى ترد عليه . ومن وظائفهم نشره والدعوة اليه . ومن وظائفهم تعميم تعليمه على الوجه الذى يرقى العقول والارواح ويرشد الى سعادة الدارين . ومن وظائفهم التربية الدينية العملية التى تطبع ملكات

الفضائل فى النفوس . والاعمال تابعة للعقائد والملكات فمتى صلحا بالتعليم الصحيح والتربية النافعة حسنت الاعمال وسعدت الامة . ومن وظائفهم ازالة الخلاف فى الدين وجمع كلمة المسلمين . ومن وظائفهم الاجتهاد فى جعل جميع كتب التعليم من تأليفهم كيلا يدخل فيها ما ينزع الاعتقاد او يفسد الآداب بل لتكون مزيد كمال فى الايمان . ومن وظائفهم القيام بجميع مصالح الامة حتى السياسية والحربية لان الاسلام دين جامع لكل ما يحتاجه البشر فاذا كانوا قد سلبوا هذه الرياسة لتقصيرهم فينبغي لهم ان يستعدوا لها حتى اذا اعطوها اقاموا بها حق الاسلام ونصروا الدين الخ الخ :

فهل ادوا وظيفة من هذه الوظائف حقها وقاموا بها كما ينبغى ؟ ولا ينتفي عنهم التقصير الذى نسبه اليهم شيخ الاسلام ومفتى الديار المصرية الا اذا قاموا بها كلها وظهر اثرها فى اسعاد الامة وترقيها وعند ذلك يعظّمون بحق واذا تمادوا فى هذا الاهمال ، فلا يمضى زمن يسير حتى يزول ما بقى لهم من الكرامة والاجلال ، ويحرمون الجاه والمال ، ويكون مآلهم شر مآل ، وبعد ذلك يقيض الله لدينه من شاء من الامم ليظهره على الدين كله ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين .

«شبهات التاريخ على اليهودية والمسيحية . وحجج الاسلام على المسيحيين»

« نبذة رابعة »

ذكرنا فى النبذ الماضية ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وقلنا ان الكتب التى يسمى مجموعها عند اليهود